د. سهام جميل جاسم
Dr.. Siham Jamil Jassim

مادة حضارة/ نظم/الصف الثالث
Civilization / systems / third grade

البحرية:- نشأة البحرية العربية الاسلامية

لم يعرف العرب قبل الاسلام وفي صدر الاسلام القتال في البحر، ولكنهم ركبوا البحر للتجارة . فقد امتطى عرب اليمن وحضرموت وعمان وسواحل الخليج العربي البحر واوغلوا فيه الى ما وراء الهند .

وان العرب عرفوا الملاحة البحرية وعرفوا اسرار المسالك البحرية واتجاهات الرياح الموسمية وكان ذلك من العوامل الرئيسة في تفوقهم البحري.

كان للانتصار العظيم الذي حققه العرب المسلمين في بلاد الشام على البيزنطيين في معركة اليرموك بمثابة المفتاح الذي فتح الطريق للعرب لتحرير الشام ثم مصر من السيطرة البيزنطية .

وقد حاول البيزنطيون استعادة بلاد الشام بمهاجمة سواحلها البحرية مما دعا الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى اتباع سياسة دفاعية وذلك بإقامة القلاع والحصون والمناور والمراقب والمسالح على طول الساحل وشحنها بالمقاتلة والمرابطة وكذلك فعل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بسواحل مصر فحصن تعز، الاسكندرية وكان يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط الاسكندرية .

وظل العرب يتبعون هذه السياسة حتى تمكنوا من تحرير الشام ومصر نهائياً فتطلعوا الى بحاره الروم في سياستهم البحرية الهجومية وبدأوا يؤسسون القوة البحرية العربية. فقد حاول معاوية بن ابي سفيان ان يأذن له الخليفة عمر (رضي الله عنه) بأنشاء اسطول حربي للدفاع عن سواحل الشام ومصر فرفض الخليفة طلب معاوية خوفاً على العرب المسلمين كما ان العرب لم يكونوا مهرة في قتال البحر.

ولما آلت الخلافة الى عثمان بن عفان (رضي الله عنه) تمكن معاوية بن ابي سفيان من اقناع الخليفة عثمان بأنشاء الاسطول فاستحضر الاخشاب من غابات الارز بلبنان وارسلها بالسفن الى دار الصناعة بالإسكندرية حيث تم فيها انشاء سفن الاسطول الشامي والمصري. واستعان معاوية بالملاحين من العرب من الازد والحضارمة لإدارة العمليات البحرية. حتى كان اسطوله مؤلفا من ١٧٠٠ سفينة حربية وتمكن الاسطول الاسلامي من تضييق الخناق على الاسطول البيزنطي لاستيلاء المسلمين على المراكز البحرية المهمة وهي : جزر قبرص وصقلية ورودس وكريت .

وقد برز في العصر الاموي ثلاثة من كبار قادة البحرية العربية منهم جنادة بن اميه الازدي الذي فتح جزيرتي رودس وكريت وسفيان بن مجيب الازدي فاتح طرابلس الشام التي كانت قد استعصت على المسلمين

طويلاً. وانشأ حسان بن النعمان الغساني في تونس قاعدة للأسطول العربي في المغرب. وكان معاوية بن ابي سفيان قد قاد حملة بحرية بنفسه على جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ ثم اعاد فتحها سنة ٣٣هـ.

ومن المعارك الحاسمة التي خاضها العرب ضد الاسطول البيزنطي هي معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ استطاعت ان تفرض سيادة العرب البحرية في البحر المتوسط، حيث اشتركت القوات البحرية في الشام ومصر في اسطول من ٢٠٠ سفينة حربية تولى قيادته عبدالله ابن سعد بن ابي سرح بينما بلغ عدد سفن الاسطول البيزنطي بين ١٠٠٠ سفينة وانتهت المعركة بانتصار العرب الذين ربطوا سفنهم بعضها الى بعض وحولوا المعركة البحرية الى اقرب ما تكون الى المعارك البرية وقد سميت هذه المعركة ذات الصواري ويستدل من اسمها كثرة صواري السفن التي اشتركت في المعركة. وغيرها من المعارك البحرية التي خاضها العرب المسلمين.

ومنذ ذلك التاريخ اصبح الاسطول العربي اسطولاً دفاعياً وبقيت البحرية العربية محتفظة بقوتها .

ولكن في العصر العباسي كان الاهتمام اقل بالأسطول مما كان عليه في العصر الاموي وكان مركزه الرئيسي في هذا العصر شمال افريقيا والاندلس .

وكانت المراكب البحرية عدة انواع منها الكبير ذو الابراج والقلاع للدفاع وبعضها تحمل المنجنيقات لرمي النفط المشتعل على الاعداء وهي الحراقات. وبعضها صغير للحركة السريعة والمناورة وهي الطرادات وفي مقدمة المركب هناك ما يطلق عليه اللجام وهو عبارة عن حديدة طويلة ان ضربت المركب خرقته اضافة الى كلاليب ترمى على مركب العدو وتتعلق به ثم توضع الالواح عليه ويعبر الجنود لقتال العدو .

النظم العسكرية والدفاعية

الجيش عند العرب قبل الاسلام:- لم يكن للعرب قبل الاسلام جيش بالمعنى المتعارف عليه فالحروب بين القبائل العربية كانت عبارة عن مناوشات وغزوات وقتية بقيادة شيخها وتشترك فيها القبيلة بأجمعها وتشن بدون سابق انذار او اعلان بدافع الغزو لأسباب اقتصادية او الثأر والدفاع عن النفس وحب السيطرة احياناً.

وتستخدم في غزواتها اسلوب الكر والفر اي الهجوم بسرعة والانسحاب بسرعة ثم الهجوم المفاجئ وكانت اسلحتهم هي السيف والرمح والترس والقوس والنبال والدرع.

***الجيش في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ***

لم يكن للمسلمين جيشاً مقاتلاً قبل الهجرة الى المدينة المنورة لعدم الاذن لهم بالقتال في حينها لأمور احترازية تتعلق بالخوف عليهم من بطش قريش والمشركين وبعد الهجرة الى المدينة اذن الله لهم بقتال

المشركين ورد ظلمهم حيث نزلته الآية الكريمة **{اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله}** وتلتها آيات اخرى. وبذلك اصبح الجهاد فريضة على كل مسلم قادر على حمل السلاح. وعندها بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتكوين وتنظيم الجيش الاسلامي.

ويعد المسجد النبوي في المدينة الثكنة العسكرية الاولى لذلك الجيش فكانت الغزوات والسرايا تنطلق منه وتعقد فيه الرايات والاعلام للمجاهدين .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يتولي الغزوات والمعارك الاولى بنفسه غير ان كثرة واجباته وتنوعها جعلته يستعين ببعض اصحابه في قيادة بعض السرايا العسكرية وكان حريصاً على اختيار القادة بما يتلائم والمهام العسكرية المنوطة بهم. وقد عرف المسلمون رتب العريف والنقيب وقائد وامير الجيش فكان كل عريف يشرف على عشرة جنود ونقيب لكل عشرة عرفاء وقائد لكل عشرة نقباء وامير لكل عشرة قواد .

اما امير الجيش فكان يختاره الرسول (صلى الله عليه وسلم) من اهل السابقة والتجربة في القتال .

ومن الاساليب التعبوية التي اعتمدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) نظام الصفوف ويعني ترتيب المقاتلين بصفوف مستوية متعاقبة وكان رجال الصف الاول وهم المسلحون بالرماح يحثون على ركبهم ويجمعون انفسهم بالتروس من نبال الاعداء ورماحهم ويغرسون رماحهم الطويلة في الارض موجهين رؤوسهم الى الاعداء ويتركز النبالون خلف المشاة حاملي الرماح ويرمون العدو من فوق رؤوسهم. وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يفقد هجوم العدو قوته عند ذلك تتقدم الصفوف للزحف عليه وكان ميزة هذا التشكيل القتالي انه يؤمن العمق كما تكون بيد القائد قوة احتياطية تمكنه من معالجة المواقف الطارئة ولو بشكل محدود كما كان يستثمر الفوز بذلك الاحتياط.

واقترن نظام الصفوف بتعديل تعبوي اخر هو نظام الكر والفر حيث اتخذ نظام الكر والفر بديلاً عنه وكان ذلك ولاشك من اهم اسباب انتصار الاقلية المسلمة على اهل الكفر من خصومهم المشركين وفاجئوهم به. وكانت معركة بدر اول معركة طبق المسلمون فيها هذا النظام.

وعرف المسلمون منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) نظام الطلائع ومفاده اختيار فرق تتقدم الجيش لتستكشف العدو وتقتفي اثره ونظراً لأهمية الاستخبارات في السلم والحرب فقد اولاها الرسول (صلى الله عليه وسلم) جل اهتمامه فيوكلها احياناً لبعض اصحابه واحياناً يقوم باستطلاع الاخبار بنفسه ويؤكد على مبدأ الكتمان فقد كان يهيئ الجيش للحركة دون ان يعلن الوجهة او الغاية حتى ان ليقال انه لم يخبر احداً عند تحركه لفتح مكة .

اما صنوف الجيش في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فكانت تتركز على الفرسان (الخيالة) والمشاة (الرجالة) والرماة فلقد حرص المسلمون على العناية بكتائب الفرسان لما لها من اهمية كبيرة في تحقيق النصر في المعركة وقد اشار القران الكريم الى اهمية الخيل في الحرب بقوله تعالى: **{واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم}** .

اما صنف المشاة فمهمته الاساسية هي الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسية ومن واجباته الاخرى التصدي لفرسان العدو وابطال حركاته عن طريق عقر خيولهم او تنقيرها. اما صنف الرماة (النشابون) فهم الجنود الذين يحملون الاقواس ويرمون بها السهام او النشاب وكان للرماة دور كبير في المعارك التي غالباً ما كانت تبدأ بالتراشق بالنبل لإيقاع اكبر الخسائر في صفوف العدو، ولهذا يكون تأثيرهم في الدفاع اكبر منه في الهجوم .

ولقد اعتمد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الاسلحة الخفيفة الانفرادية بصورة عامة كالسيف والقوس والرمح فالسيف كان يعد من اشرف الاسلحة عند العرب واكثرها استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح اذ يبدأ القتال البعيد برمي السهام بواسطة القسي حتى اذا ما تقاربت الصفوف ولم يعد يحال لرمي السهام في المعركة استعيض عنها بالرماح. واذا ازداد التقارب حتى الالتحام سلت السيوف واشتبك المقاتلون بما يعرف اليوم (القتال بالسلاح الابيض) .

الجيش في عهد الخلفاء الراشدين

لقد بقيت اهداف الحرب وضوابطها في العهد الراشدي كما كانت عليه الحال في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم). وبدأت عملية اعداد الجيش وتنظيمه في العصر الراشدي زمن الخليفة ابو بكر (رضي الله عنه) فالمعارك التي خاضها ضد المرتدين اكسب المقاتلين المسلمين كثيراً من الخبرة مما شجع الخليفة على التطلع الى اتمام الرسالة الاسلامية ونشرها خارج الجزيرة العربية، فأعد الجيش اللازم لذلك وقد بلغ في عهده زهاء اربعين الف مقاتل .

والتطور المهم الذي حصل في العصر الراشدي في مجال الجيش وتنظيمه كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويتمثل في اعتماد مبدأ التجنيد الالزامي وانشاء ديوان الجند الذي استند الى قاعدة الالزام الى جانب التطوع وكان ذلك في سنة ٢٠هـ حيث اصبحت دواوين الجند في الامصار الاسلامية مراكز لتجنيد المقاتلين بواسطة السجلات التي تحوي اسماءهم وانسابهم واوصافهم ومقدار اعطياتهم ليسهل استدعاؤهم عند الحاجة وبهذا يمكن القول بأن الخليفة عمر (رضي الله عنه) اول منظم للجيش الرسمي المتفرغ للقتال والجهاد في العصر الاسلامي.

واقتدى الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بسياسة الخليفة عمر في فرض التجنيد الالزامي الا انه عندما اذن لمعاوية بالقتال بحراً امره ان يخير الناس ولا يكرههم على ركوب البحر الا من رغب في ذلك .

وفي الوقت الذي طبق التجنيد الالزامي في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه لم يعرف نظام التسريح النهائي للمقاتلين من الخدمة العسكرية ولكن عرف التسريح المؤقت او ما يسمى نظام (البدال) .

وقد قسم الجيش الى اجناد يقيم بعضها في مصر وبعضها في الشام وبعضها في العراق في محطات خاصة وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار القبائل والبطون فكانت البصرة مثلاً خمسة اقسام تسمى الاخماس يقيم في كل خمس منها قبيلة لها اميرها. وينطبق ذلك على سائر اجناد المسلمين في الكوفة والفسطاط وغيرها من مدن العراق ومصر والشام.

ولقد استمرت صفوف الجيش التي اعتمدت في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) خلال العصر الراشدي ولاسيما صنف الفرسان والمشاة غير ان اتساع نطاق المعارك وطبيعة مناطق القتال وبعدها وضرورة مجابهة اسلحة وصنوف الاعداء من الفرس والبيزنطيين استدعت تطوير تلك الصنوف واعتماد صنوف اخرى .

فقد ازداد الاهتمام بصنف الفرسان وخصص الخليفة عمر (رضي الله عنه) في كل من البصرة والكوفة اربعة الاف فرس وعين من له دراية في رعايتها وتدريبها لتكون عدة الطوارئ فاذا داهم المصر خطر انطلق عليها الفرسان لمواجهته .

ومن الحيوانات الاخرى التي كان لها دور بارز في الجيش الراشدي هو الجمل فإذا كان الحصان عماد الطلائع والجناحين لضمان حرية الحركة والمناورة والالتفاف على العدو من الخلف وشل حركته فقد كان الجمل عماد مؤخرة ذلك الجيش وعماد انتقاله .

اما صنف المشاة والرماة وهي من الاصناف الفعالة في الجيش الراشدي وقد بينا اهميتها عند الكلام عن جيش الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتعد الاقواس التي ترمي بها السهام من الاسلحة المهمة لهذا الصنف ويعد السيف من اهم الاسلحة التي يستخدمها الفرسان والمشاة على حد سواء مع القوس الذي يحمي المقاتل.

ونظراً لطبيعة المناطق التي اقام بها العرب ووجود المسلمين فيها اثناء معارك التحرير ولاسيما في العراق ووجود المدن المحصنة فقد اعتمد الجيش صنفاً اخراً من المقاتلين يستخدم المجانيق. وهو من الاسلحة الاجمالية الثقيلة التي تستخدم في رمي الحصون بقذائف الحجارة او النار الملتهبة .

وعلى الرغم من وجود اشارات لاستخدام المنجنيق من قبل العرب المناذرة ثم من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حصار الطائف الا ان استخدامه كان اوسع في العصر الراشدي ولاسيما في عهد الخليفة عمر (رضي الله عنه) بعد ادخال الكثير من التحسينات عليه .

واستخدمت كذلك الدبابات والعرادات لمهاجمة حصون الاعداء والدبابة التي تصنع من الجلود والخشب ويدخل فيها الجند وتستخدم لأحداث ثغرات في الحصون عند ملاصقتها لجدرانها او لوقاية الجند من اسلحة المدافعين. اما العرادة:- فهي اصغر من المنجنيق وتستخدم لرمي الحجارة من اماكن بعيدة.

اما الاساليب التعبوية التي اعتمدت في العصر الراشدي فبعضها يعد امتداداً لما كانت عليه في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع احداث بعض التطورات عليها كنظام الصفوف والكر والفر. وبعضها يعد من مبتكرات هذا العصر كنظام الكراديس ونظام الخالدية ونظام الخميس .

١-نظام الكراديس:- هو النظام الذي ينقسم الجيش بموجبه الى مجموعات تسمى الكراديس وينقسم الكردوس بدوره الى اجزاء عشرية لها آمر بها . فالعريف بأمرة عشرة رجال وآمر الاعشار بأمرة عشرة عرفاء اي مئة رجل، وقائد الكردوس بأمرته عشرة من امراء الاعشار اي الف رجل. وكان خالد بن الوليد اول قائد عربي استخدم هذا النظام القتالي .

٢-التعئبة الخالدية:- وهو الاسلوب المبتكر في القتال من قبل خالد بن الوليد وقد استنبطه نتيجة خوضه الحروب العديدة مع الفرس والروم ومفاده ترتيب الجيش بشكل القمر في يوم التاسع او العاشر وعلى شكل حذوة الحصان وتقسيمه خمس فرق الاولى طليعة الجيش او مقدمته وهي للمراقبة والانذار والثانية القلب الممثلة لقوة الجيش الضاربة وتكون على هيئة ثلاث صفوف متتابعة والثالثة الميمنة وهي من الفرسان والرماة والرابعة الميسرة اما الخامسة فهي المؤخرة وفيها الظعن وحمايته والمعروف ان خالد بن الوليد لم يسر الى القتال الا وهو في حالة تعبئة .

٣-نظام الخميس:- وهو تقسيم الجيش الى خمسة اقسام هي :- المقدمة او الطليعة وتكلف بالاستطلاع وصد هجمات العدو من الامام والميمنة الى يمين القلب وواجبها حماية الجناح الايمن للقطعات والميسرة وموقعها الى اليسار من القلب ومهمتها حماية القطعات من الجانب الايسر والقلب ويضم القسم الاكبر من القطعات ومكانه الوسط وفيه مقر القائد العام للتشكيل وخامساً الساقة او المؤخرة وتضم قوات الحماية من الخلف وكذلك وحدات الشؤون الادارية وعوائل المقاتلين .

المصادر والمراجع المستخدمة

١- الماوردي ، الاحكام السلطانية

٢- ابن يعلى الاحكام السلطانية

٣- ابن ابي الدم ، ادب القضاء
٤- الطقطقي ، الاداب السلطانية
٥- الماوردي ، نصيحة الملوك
٦- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك
٧- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ
٨- المسعودي ، مروج الذهب
٩- مسكويه ، تجارب الامم
١٠- عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية
١١- فاروق عمر فوزي ، النظم الاسلامية
١٢- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام
١٣- صبحي الصالح ، النظم الاسلامية
١٤- شحاذه الناطور ، النظم الاسلامية